

قضى: ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً **عجباً** بديعاً مبيناً لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه، قائمة فيه دلائل الإعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره.

يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ. وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٧﴾

يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان. والضمير في **بِهِ** للقرآن، ولما كان الإيمان به إيماناً بالله وبوحدانيته وبرائة من الشرك. قالوا: **وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** أي: ولن نعبد إلى ما كنا عليه من الإشراف به في طاعة الشيطان، ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل. لأن قوله: بربنا يفسره.

وَأَنَّهُ قَوْلُنَا جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٨﴾

جَدُّ رَبِّنَا عظمت من قولك: جد فلان في عيني أي: عظم. وفي حديث عمر رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا. وروي: في أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه⁽³⁾. استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المجدوبون. والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصحابة والوالد لعظمته أو سلطانه وملكوته أو لغناه. وقوله: **﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾** بيان لذلك. وقرئ: جدنا ربنا على التمييز، وجد ربنا بالكسر. أي: صدق ربوبيته وحق ألهيته عن اتخاذ الصحابة والولد. وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان تنبهوا عن الخطأ فيما اعتقدوه كفرة الجن من تشبيهه الله بخلقه واتخاذها صاحبةً وولداً فاستعظموه ونزهوه عنه.

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٩﴾

سفيهم: إبليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن، والشطط: مجاوزة الحد في الظلم وغيره، ومنه أشط في السوم إذا أبعده فيه. أي: يقول قولاً هو في نفسه شطط، الفط ما أشط فيه وهو نسبة الصحابة والولد إلى الله.

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنشُرَ وَالْمِشْرُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٠﴾

وكان في ظننا أن أحدًا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ما ليس بحق فكنا نصنقهم فيما أضفوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم. **﴿كذباً﴾** قولاً كذباً، أي: مكنوباً فيه، أو نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول. ومن قرأ: أن لن تقول، وضع كذباً موضع تقولاً ولم يجعله صفةً لأن التقول لا يكون إلا كذباً.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنشِرِ يَوَدُّونَ إِتْيَانَهُنَّ أَكْثَرَ مِنْ أَكْثَرِ رِجَالٍ ﴿١١﴾

﴿ولوالدي﴾ أبو ملك بن متوشلخ وأمه شمخاء بنت أنوش كانا مؤمنين. وقيل: هما آدم وحواء. وقرأ الحسين بن علي: ولوالدي، يريد ساماً وحملاً. **﴿بييتي﴾** منزلي. وقيل: مسجدي. وقيل: سفينتي. خص أولاً من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه. ثم عم المؤمنين والمؤمنات **﴿تباركاً﴾** هلاكاً.

فإن قلت: ما فعل صبيانهم حين اغرقوا؟ قلت: اغرقوا معهم لا على وجه العقاب، ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت وكما منهم من يموت بالغرق والحرق. وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات إذا ابصرنا أطفالهم يغرقون. ومنه قوله عليه السلام: **﴿يهلكون مهلكاً واحداً ويصبرون مصادر شتى﴾**⁽¹⁾. وعن الحسن أنه سئل عن تلك فقال: علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب. وقيل: أعقم الله أرحام نسائهم وأبليس أصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا. عن رسول الله ﷺ: **﴿من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تركهم دعوة نوح عليه السلام﴾**⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجن مكية

قُلْ أَرَأَيْتَ إِنْ أَنَّهُ أَشْتَعَّ نَرٌّ مِّنْ لَّيْلِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا مُرَدَاتِنَا يَخِينُ ﴿١﴾

قرئ: أحمى وأصله وحي. يقال: أوحى إليه ووحى إليه، فقلبت الواو همزةً. كما يقال: أعد وأزن. وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل أو مضمومة، وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كاشاح وإسادة وإعاء أخيه، وقرأ ابن أبي عبلة: وحي على الأصل **﴿إنه لستمع﴾** بالفتح لأنه فاعل أوحى. وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى، فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر. وكلهن من قولهم: إلا الثنتين الأخريين، وأن المساجد، وأنه لما قام ومن فتح كلهن. فحطفاً على محل الجار والمجرور في أمانا به. كانه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهاً وكذلك البواقى. **﴿نفر من الجن﴾** جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل: كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً، وجامعة جنود إبليس منهم. **﴿فقالوا إنا سمعنا﴾** أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم، كقوله: فلما

(3) قال الزيلعي: غريب من حديث عمر وقد تقدم من حديث انس. رواه أحمد /4 99.

(1) أحبره مسلم في كتاب: الفتن وإشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (الحديث رقم: 8 - 2884).

(2) رواه التعلبي وابن مردويه والواحدي في تفسيرهم والزيلعي /4

الرهق: غشيان المحارم، والمعنى: أن الإنس باستعانتهم بهم زابوهم كبيراً وكفراً. وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في وادٍ قفر في بعض مسابره وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن وكبيرهم. فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سيدنا الجن والإنس. فلذلك رهبهم أو فزاد الجن الإنس رهقاً بإغوائهم وإضلالهم لاستعانتهم بهم.

وَأَنَّهُمْ طَرًّا كَمَا طَلَنَتْهُ أَنْ لَنْ يَمُتَ اللَّهُ أَحَدًا (٧).

﴿وأنهم﴾ وأن الإنس ﴿ظننوا كما ظننتم﴾ وهو من كلام الجن بقوله: بعضهم لبعض. وقيل: الآيتان من جملة الوحي، والضمير في ﴿وأنهم ظننوا﴾ للجن، والخطاب في ظننتم لكفار قريش. اللمس: المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعزف قال:

مسنا من الآباء شيئاً ولكننا إلى نسب في قومه غير واضع

وَأَنَا لَسْنَا نَسْتَأْذِنُهَا فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأً حَرَسًا شَدِيدًا وَهَيْبًا (٨) وَأَنَا كَمَا نَقَعْدُ يَتَهَا مَقْعِدٌ لِلْسَّحَابِ فَمَنْ يَسْتَجِيعُ الْآنَ عِيْدَ لَمْ يَتَهَا رَصْدًا (٩).

يقال: لمسه والتمسه وكطلبه وأطلبه وتطلبه، ونحوه: الجس. وقولهم: جسوه بأعينهم ويجسسوه، والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها. والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام، ولذلك وصف بشديد، ولو ذهب إلى معناه لقليل: شداداً ونحوه. أخشى رجلاً أو ركبياً غانياً. لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب.

والرصد: مثل الحرس اسم جمع للرصد على معنى نوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعني جياًعاً يعني: يجد شهاباً راصداً له ولاجله.

فإن قُلْتُ: كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى: ﴿ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾. فنكر فائنتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين^(١)؛ قُلْتُ: قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله ﷺ وهو إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث. وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم:

والعير يرفقها الخبر وجحشها ينقض خلفهما انقضا الكوكب
وقال أوس بن حجر:
وانقض كالدرى يتبعه نفع يثور نخاله طنبا

وقال عوف بن الخرج:
يرد علينا العير من نون ألفه أو الثور كالدرى يتبعه الدم
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً. وعن معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: رأيت قوله تعالى: ﴿وَأَنَا كَمَا نَقَعْدُ﴾ فقال: غلظت. وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذا رمى بنجم فاستنار. فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟» فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم^(٢). وفي قوله: ﴿ملئت﴾ دليل على أن الحادث هو الملاء والكثرة. وكذلك قوله: ﴿نقعد منها مقاعد﴾. أي: كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها، وهذا نكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله ﷺ واستمعوا قراءته.

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَتَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠).

يقولون: لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق، قلنا: ما هذا إلا لأمر أراه الله بأهل الأرض ولا يخلو من يكون شراً أو رشداً. أي: خيراً من عذاب أو من رحمة أو من خذلان أو توفيق.

وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرِيقَ قَدَا (١١).

﴿مما الصالحون﴾ مما الأبرار المتقون ﴿ومما نون ذلك﴾ ومما قوم نون ذلك، فحذف الموصوف. كقوله: وما منا إلا له مقام معلوم، وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه، أو أراؤا الطالحين ﴿كنا طرلق قددا﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنا نوي مذاهب مفترقة مختلفة، أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة، أو كنا في طرائق مختلفة. كقوله:

كما عسل الطريق الثعلب

أو كانت طرائقنا طرائق قدداً على حنف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه. والقدة: من قد كالقطة من قطع، ووصفت الطرائق بالقدد لدالاتها على معنى التقطع والتفرق.

وَأَنَا طَنَّتُ أَنْ لَنْ تُشَجَرَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُشَجَرُ هَرَا (١٢).

﴿في الأرض﴾ و﴿هرا﴾ حالان أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربيين منها إلى السماء. وقيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ولن

(1) قال أحمد: ومن عقائدهم أن الرشد والضلال جميعاً مرادان لله تعالى بقولهم: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَتَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ولقد أحسنوا الألب في نكر إرادة الشر منحوفة

(2) الفاعل، والمراد بالمريد: هو الله عز وجل وإبراهيم لاسمه عند =

(2) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب من سورة سبأ (الحديث رقم: 3224).

الجن على الطريقة المثلى أي: لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لأنهم ولم يكفروا وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم. ونكر الماء الغدقي وهو الكثير يفتح الدال وكسرهما، وقرئ: بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق.

لَتَنبِتُنَّ فِيهِ وَمَنْ يَرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيَ سَلْكُهُ عَذَابًا صَعْدًا ﴿١٧﴾.

﴿لَتَنبِتُنَّ فِيهِ﴾ لنتبئهم فيه كيف يشكرون ما حوّلوا منه، ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم، لنتبئهم فيه لتكون النعمة سبباً لا اتباعهم شهوراتهم ووقوعهم في الفتنة وازدياهم إثماً أو لنعذبهم في كفران النعمة. ﴿عَنْ نَكْرٍ بِهِ﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه ﴿يَسْلُكُهُ﴾ وقرئ: بالنون مضمومة ومفتوحة، أي: ندخله ﴿عَذَابًا﴾ والأصل نسلكه في عذاب كقوله: ما سلكتكم في سقر، فعدي إلى مفعولين إما بحذف الجار واتصال الفعل كقوله: واختار موسى قومه، وإما بتضمينه معنى ندخله يقال: سلكه وأسلكه. قال: حتى إذا أسلكوهم في قتائده، والصعد: مصدر صعد. يقال: صعد صعداً وصعوداً، فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي: يعلوه ويغلبه فلا يطيقه. ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح⁽³⁾ يريد: ما شق علي ولا غلبي.

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ من جملة الموحى وقيل: معناه ولأن المساجد ﴿للّهِ﴾ فلا تدعوا، على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي: فلا تدعوا ﴿مع الله أحداً﴾ في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته. وعن الحسن: يعني الأرض كلها، لأنها جعلت للنبي ﷺ مسجداً وقيل: المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾⁽⁴⁾ وعن قتادة: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد. وقيل: المساجد أعضاء السجود السبعة. قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أرباب» وهي: الجبهة والأنف واليدين والركبتان والقدمان⁽⁵⁾. وقيل: هي جمع مسجد وهو السجود.

نعجزه هرباً إن طلبنا. والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أختيار وأشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب.

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ مَأْتًا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّيَ، فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾.

﴿لما سمعنا الهدى﴾ هو سماعهم القرآن، وإيمانهم به ﴿فلا يخاف﴾ فهو لا يخاف أي: فهو غير خائف؛ ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر نخلت الفاء ولولا ذلك لقليل: لا يخف.

فإن قلنت: أي: فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال: لا يخف؛ قلنت: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره، وقرأ الأعمش: فلا يخف على النهي ﴿بِخَسَا وَلَا رَهَقًا﴾ أي: جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخص أحداً حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما. وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم»⁽¹⁾. ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخص بل يجزي الجزاء الأوفى، ولا أن ترهقه نلة، من قوله عز وجل: ﴿وترهقهم نلة﴾.

وَأَمَّا إِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَإِنَّا الْقَاسِطُونَ فَكَاؤُا يَجْهَنَّمُ حَطَابًا ﴿١٥﴾ وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْتَقِيمُهُمْ مَّاءَ عَدَاكَ ﴿١٦﴾.

﴿القاسطون﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق. وعن سعيد بن جببر رضي الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول في؟ قال: قاسط عادل فقال القوم: ما أحسن ما قال؟ حسوا أنه يصفه بالقسط والعدل. فقال الحجاج: يا جهلة أنه سماني ظالماً مشركاً وتلا لهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْقَاسِطُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾⁽²⁾ قد زعم من لا يرى للجن ثواباً أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعداً أن قال: فأولئك تحرّوا رشداً. فنكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

﴿ولو استقاموا﴾ أن مخفة من الثبيلة وهو من جملة الموحى والمعنى: وأوحى إلي أن الشأن والحديث لو استقام

(5) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: أعضاء السجود (الحديث رقم: 891 و889)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الصلاة، باب: ما جاء إنني أسجد على سبعة أعضاء (الحديث رقم: 272)، وأخرجه النسائي في كتاب: التطبيق، باب: تفسير ذلك (الحديث رقم: 1093)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: السجود (الحديث رقم: 885).

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: البر والإحسان، باب: الجار (الحديث رقم: 510)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (الحديث رقم: 2627).

(2) سورة الأنعام، الآية: 1.

(3) قال الزيلعي، أخرجه أبو عبيد في غريبه: 100/4.

(4) سورة البقرة، الآية: 114.

وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيكًا ﴿١٧﴾.

قُلْ إِنِّي لَا أَنُفِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٧﴾.

﴿عبد الله﴾ النبي ﷺ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: «مَا قِيلَ رَسُولَ اللَّهِ أَوْ النَّبِيَّ! قُلْتُمْ: لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ وَأَوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ وَقَعًا فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ جِيءَ بِهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ التَّوَاضُعُ وَالتَّنَزُّلُ، أَوْ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ ﷺ لَيْسَتْ بِأَمْرٍ مُسْتَبْعَدٍ عَنِ الْعَقْلِ وَلَا مُسْتَنْكَرٍ حَتَّى يَكُونُوا عَلَيْهِ لِبَدَاءٍ. وَمَعْنَى قَامَ يَدْعُوهُ قَامَ يَعْجِدُهُ يَرِيدُ قِيَامَهُ لِمَصَلَّةِ الْفَجْرِ بِنَخْلَةٍ حِينَ آتَاهُ الْجَنُّ فَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ ﷺ ﴿كَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدَاءٍ﴾ أَي: يَزْنَحُونَ عَلَيْهِ مُتْرَاكِمِينَ تَعْجَبًا مِمَّا رَأَوْا مِنْ عِبَادَتِهِ وَاقْتِدَاءً أَصْحَابَهُ بِهِ قَائِمًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا، وَإِعْجَابًا بِمَا تَلَا مِنَ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْا مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ وَسَمِعُوا بِمَا لَمْ يَسْمَعُوا بِنَظِيرِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَمَّا قَامَ رَسُولًا يَعْجِدُ اللَّهُ وَحْدَهُ مُخَالَفًا لِلْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ الْآكِهَةِ مِنْ لُونِهِ، كَادَ الْمُشْرِكُونَ لِتَظَاهَرِهِمْ عَلَيْهِ وَتَعَاوَنِهِمْ عَلَى عِدَاوَتِهِ يَزْنَحُونَ عَلَيْهِ مُتْرَاكِمِينَ لِبَدَاءٍ، جَمْعُ لِبْدَةٍ وَهُوَ مَا تَلْبَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْهَا لِبْدَةُ الْأَسَدِ. وَقُرِي: لِبَدَاءٌ وَاللِبْدَةُ فِي مَعْنَى اللَّبْدَةِ، وَلِبْدَاءٌ جَمْعُ لَابِدٍ كَسَاجِدٍ وَسَجِدٍ، وَلِبْدَاءٌ بِضَمَّتَيْنِ جَمْعُ لِبُودٍ كَصَبُورٍ وَصَبِيرٍ. وَعَنْ قَتَادَةَ: تَلْبَدَتِ الْإِنْسَانُ وَالْجَنُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِيُطْفِئُوهُ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَنْصَرَهُ وَيُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ نَآوَاهُ. وَمَنْ قَرَأَ وَإِنَّهُ بِالْكَسْرِ جَعَلَهُ مِنْ كَلَامِ الْجَنِّ قَالُوهُ لِقَوْمِهِمْ حِينَ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ حَاكِمِينَ مَا رَأَوْا مِنْ صَلَاتِهِ وَازْنِحَامِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ فِي اتِّمَامِهِمْ بِهِ.

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٧﴾.

﴿قال﴾: للمتظاهرين عليه ﴿إنما ادعوا ربي﴾ يريد ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده ﴿ولا أشرك به أحدًا﴾ وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي. أو قال للجن عند ازْنِحَامِهِمْ متعجبين: ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الإشراف به بأمر يتعجب منه، إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكًا. أو قال للجن لقومهم: ذلك حكاية عن رسول الله ﷺ.

﴿ولا رشدًا﴾ ولا نفعًا أو أراد بالضرر الفني. ويدل عليه قراءة أبي: غيًّا ولا رشدًا، والمعنى: لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله^(١)، أو لا أستطيع أن أفسركم على الفني والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل.

قُلْ إِنِّي لَنْ مَجْرِبٍ مِنَ اللَّهِ أَمَدٌ وَإِنَّ أَمَدًا مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا ﴿١٧﴾ إِلَّا بَلَاءًا مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَتِي. وَمَنْ يَمَسَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ لَمْ تَرَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١٧﴾.

﴿ولا بلاغًا﴾ استثناء منه أي: لا أملك إلا بلاغًا من الله. و﴿قل إنني لن يجيرني﴾ جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبين عجزه، على معنى أن الله إن أراد به سوءًا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من لونه ملاًدًا يأوي إليه. والملتجئ الملتجئ وأصله المنخل من اللحد. وقيل: محيصًا ومعدلاً. وقرئ: قال: لا أملك. أي: قال عبد الله للمشركين أو للجن. ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم. وقيل: بلاغًا بدل من ملتحد^(٢). أي: لن أجد من لونه منجي إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به. وقيل: إلا هي أن لا، ومعناه: أن لا أبلغ بلاغًا. كقولك: أن لا قيامًا فقومًا. ﴿ورسالته﴾ عطف على بلاغًا كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات. والمعنى: إلا أن أبلغ عن الله، فأتقول: قال الله: كذا ناسيًا لقوله إليه، وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان.

فَإِنْ قُلْتُمْ: أَلَا يُقَالُ بَلَّغَ عَنْهُ؟ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بَلَّغُوا عَنِّي بَلَّغُوا عَنِّي»^(٣). قُلْتُمْ: مَنْ لَيْسَتْ بِصَلَّةٍ لِلتَّبْلِيغِ، إِنَّمَا هِيَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي قَوْلِهِ: «بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ»^(٤) بِمَعْنَى بَلَّغًا كَأَنَّكَ مِنَ اللَّهِ. وَقُرِي: فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ عَلَى فَجْرَاؤِهِ أَنْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ. كَقَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَةٌ»^(٥) أَي: فَحَكْمُهُ أَنْ اللَّهَ خَمْسَةٌ وَقَالَ: «خَالِدِينَ» حَمَلًا عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ فِي مَنْ.

(1) «وإننا لا ندري أشد أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا» فاضافوا الرشد نفسه إلى إرادة الله عز وجل وقدرته.

(2) قال أحمد: فيكون تفسير الكلام بلاغًا من الله مستفادًا من قوله: ﴿قل إن أدري أتقرب ما توعون أم يجعل له ربي أمداً﴾ قال: إن قلت: ما معنا التقسيم والأمد يكون قريباً وبعيداً لقوله: ﴿تود لو أن بيننا وبينه أمداً بعيداً﴾ وإجاب: بأنه كان ﷺ يستقرب الموعد، وكأنه قال: ما أدري هل هو حال متوقع في كل ساعة أم له غاية مضروبة؟

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما نكر عن بني إسرائيل (الحديث رقم: 3461).

(4) سورة التوبة، الآية: 1.

(5) سورة الأنفال، الآية: 41.

(1) قال أحمد: في الآية دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يملك لعباده الرشد والفى يخلقهما لا غير، فإنَّ للفنى ﷺ إنما سلب ذلك عن قدرته ليحمض إضافته إلى قدرة الله وحده، وطفن الزمخشري لذلك، فأخذ يحمل الجبل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك إلى الله تعالى، وتارة يكتع عنه: لأنَّ فيه إبطالا لخصوصية الرشد المنصوص عليه في الآية، فيثور له من تقليده الرأي الفاسد ثوائر تصرفه عن الحق، وعن اعتقاد أن الله تعالى هو الذي يخلق الرشد لعبيده مقارناً لاختيارهم فينبخل زيادة القسر؛ لأن معنى ما ورد من إضافة الرشد إلى قدرة الله تعالى عندهم أنه يخلق أن يخضع لها الرقاب، فيخلق البعد لنفسه عند ظهورها رشدًا، فيضاف إلى قدرة الله تعالى لأنه خلق السبب وهو في الحقيقة مخلوق بقدرته العبد هذه قاعدة القدرية، وعقيتهم، وما الجن بعد هذا إلا أوفر عنهم عقلاً وأسد منهم نظراً؛ لأنهم قالوا: =

الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط. **﴿فإنه يسلك من بين يديه﴾** يدي من ارتضى للرسالة **﴿ومن خلفه رصداً﴾** حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وسوسهم وتخالبتهم حتى يبلغ ما أوحى به إليه. وعن الضحاك: ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك.

﴿يَمْلَأُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَيْبَهُمْ وَأَمَّا بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (١٨).

﴿ليعلم﴾ الله **﴿أن قد لبغوا رسالات ربهم﴾** يعني: الأنبياء. وحد أولاً على اللفظ في قوله: من بين يديه ومن خلفه، ثم جمع على المعنى كقوله: **﴿فإن له نار جهنم خالدين﴾** (٢) والمعنى: ليبغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان، ونكر العلم كذكره في قوله تعالى: **﴿حتى نعلم المجاهدين﴾**، وقرئ: ليعلم على البناء للمفعول. **﴿واحاط بما لديهم﴾** بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفاً فهو مهين عليها حافظ لها. **﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾** من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه، وعدداً حال أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً، أو مصدر في معنى إحصاء، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنّي صنقٌ محمداً ﷺ وكذب به عتق رقبة» (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل مكية

بَيِّنَاتٍ لِّلرَّسُولِ (١)

﴿المزمل﴾ المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي: تلفف بها بإدغام الباء في الزاي. ونحوه: المنذر (٤) في المتندر. وقرئ: المتزمل على الأصل، والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرهما على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو

﴿فإن قلت﴾ بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له؟ **﴿قلت﴾** بقوله: يكونون عليه لبدأً على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَمْلَأُونَ مَنَ أَعْمَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ (١٩).

﴿حتى إذا راوا ما يوعدون﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة. **﴿فسيعلمون﴾** حينئذٍ أنهم **﴿أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾**، ويجوز أن يتعلق بمحنوف بليت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده. كانه قال: لا يزالون على ما هم عليه **﴿حتى إذا راوا ما يوعدون﴾** قال المشركون: متى يكون هذا الموعد إنكاراً له؟ فقيل: **﴿قل﴾** إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه.

﴿قُلْ إِن آدْرَأْتِ أَرْبَابًا مَّا تُؤْعَدُونَ أَمْ يَجْمَلُ لَمْ رَبِّ أَمْدًا﴾ (٢٠).

﴿إن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد، وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة﴾.

﴿فإن قلت﴾ ما معنى قوله: **﴿لم يجعل له ربي أمداً﴾**؟ والأمد يكون قريباً وبعيداً، ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً! **﴿قلت﴾**: كان رسول الله ﷺ يستقرب الموعد فكانه قال: ما أدري أحوال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية. أي: هو.

﴿عَلَيْهِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَنِّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢١).

﴿علم الغيب فلا يظهر﴾ فلا يطلع، و**﴿من رسول﴾** تبين لمن ارتضى يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوّة خاصة لا كل مرتضى. وفي هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين (١) فليسوا برسول.

﴿إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولِي فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢٢).

وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على

(٣) نكره الثعلبي، وابن مروي، والواحد في تفاسيرهم: 104/4.

(٤) قال أحمد: أما قوله الأوّل: **﴿أَنْ نَدَّاهُ بِنِكَ تَهْجِينُ لِلْحَالَةِ الَّتِي نَكَرَ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا، وَاسْتَشْهَادَهُ بِالْأَبْيَاتِ الْمُنْكَوْرَةِ فَخَطَا وَسُوءِ أَدَبٍ، وَمَنْ عَاتَبَهُ عَادَةُ خُطَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي الْإِكْرَامِ وَالاحْتِرَامِ عِلْمٌ بَطْلَانٌ مَا تَخِيلَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ، فَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَنَّهُ لَمْ يَخَاطَبْ بِاسْمِهِ نَدَاهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خُصَائِصِهِ بُونَ سَائِرِ الرِّسَالِ إِكْرَاماً لَهُ وَتَشْرِيفاً، فَإِنَّ نَدَاؤَهُ بِصِيغَةِ مَهْجَةٍ مِنْ نَدَائِهِ، وَاسْتَشْهَادَهُ عَلَى نِكَ بَابِيَاتٍ قِيلَتْ نَمّاً فِي جَفَاةِ حِفَاةٍ مِنَ الرِّعَاءِ، فَانَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَأَرِيَابِهِ ﷺ، وَلَقَدْ نَكَرْتُ بِقَوْلِهِ:**

أوردما سعد وسعد مشتعل

(١) قال أحمد: ادعى عاماً واستدل خاصة، فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمندلول عليه بالأية: إبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة وخارق العادة إلا الاطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها، وذلك أن الله عز وجل لا يتخذ منهم ولياً أبداً، وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار، ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية، وهي مسلوية عنهم اتفاقاً، وأما سلب الإيمان فمسألة خلاف، فما أطلع من يكون إيمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة: لأنه لم يؤتتها، والله الموفق.

(٢) سورة الجن، الآية: 23.